تحوّل طروحات النقد في خضم الحداثة وما بعدها وموقع النقد العربي ـ دراسة وصفية ـ *

"The Transformation of Critical Theories in the Era of Modernity and Postmodernity and the Role of Arab Criticism – A Descriptive Analysis"

ط د/ بغدادي خديجة

جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل- الجزائر

khedidja.baghdadi@univ-jijel.dz

ملخص :

ليست الحداثة وما بعدها مصطلحات متضحة المعالم، بل منظومات جاءت نتيجة تراكمات قائمة على جملة من القيم الفكرية والمعرفية، كان لها إسقاطات على شتى الحقول المعرفية، تهدف هذه المداخلة إلى رصد تجليات الحداثة وما بعد الحداثة كما تلقي الضوء عن تداعياتها والأفكار التي أنتجها هذا الطرح، كما نتبع تأثيرها في حيز الاشتغال النقدي، وكيف تناولها النقاد العرب يطرح بحثنا إشكالية كبرى هي: كيف تجلت الحداثة وما بعدها في حيز الاشتغال النقدي؟

تنطوي تحت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات منها: ما الفكر الذي ساد في ظل الحداثة وما بعدها؟ هل كان كفيلا بتغيير تصور النقد وطروحاته؟ كيف كان هذا التغيير وما تداعياته؟ هل أثر في الساحة النقدية العربية؟

الكلمات المفاتيح: الحداثة، ما بعد الحداثة، النقد الأدبي، مناهج بنيوية، ما بعد البنيوية، النقد الثقافي.

Abstract:

Modernity and postmodernity are not well-defined terms; instead, they are systems that have emerged from the accumulation of various intellectual and epistemological values, impacting multiple fields of knowledge. This discussion aims to explore the manifestations of modernity and postmodernity, highlighting their repercussions and the ideas they have generated. It also traces their influence within the realm of critical practice and examines how Arab critics have engaged with these concepts. Our research addresses a major issue: How have modernity and postmodernity manifested within the realm of critical practice? This issue encompasses several questions, including: What were the

*

تاريخ استلام البحث: 2024/06/19	تاريخ قبول البحث: 2024/09/25	تاريخ النشر: 2024 /10/15

prevailing thoughts under modernity and postmodernity? Were these thoughts capable of changing the perception and propositions of criticism? How did this change occur, and what were its repercussions? Did it affect the Arab critical scene?

Keywords: modernity, postmodernity, literary criticism, structuralist methodologies, post-structuralism, cultural criticism

مقدمة:

الحداثة وما بعدها منظومات قامت على تراكمات معرفية وفكرية، أثرت هذه المنظومات على حقول معرفية عديدة وغيرت من أفكارها وطروحاتها، كان لها إسقاطات عديدة مسّت الحقل النقدي الأدبي وجعلت منه متغيرا بتغير طروحاتها، الباحث في نقد الحداثة وما بعدها سيقابله وابل من الطروحات النقدية التي ينطوي تحتها زخم كبير من المصطلحات والمفاهيم. فكلاهما أحدثتا ضجة في الساحة الغربية، لتنتقل بعدها إلى الساحة العربية وتُحدث ضجة بمفاهيمها وأفكارها الغريبة عن المناخ العربي، سارع النقاد لتلقيها ومحاولة إسقاط مفاهيمها بين منبهر ومفتون وبين من راح يبحث عن التأصيل لها من التراث ونتاج ذلك كانت دراسات ملأت الساحة النقدية العربية بين دارس يبحث في المصطلحات وبين ناقد يأخذ بآليات المناهج التي أفرزتها الحداثة وما بعدها.

1. الحداثة وتداعياتها على النقد الأدبي

نستهل عرضنا باقتباس من كتاب تشريح النص لعبد الله الغذامي «لم تعد مسألة الحداثة تقتصر على كونها قضية انما تتجاوز ذلك لتصبح اشكالية على مستويات كافة، ابداعا ونقدا وتلقيا»1، فالباحث في حركة النقد الحداثي يقابله وابل من المصطلحات التي أفرزتها نظريات الحداثة، ليس هذا فقط بل حتى في تحديد مفهوم الحداثة في حد ذاتها، البعض رأى أنها مفهوم انفصل عن التجديد والمعاصرة «لأن ما هو -جديد اليوم- سيكون قديما في الغد –القديم اليوم- كان جديدا في زمنه كما يقول ابن قتيبة، لكن الحداثة لا تقدم» [2]. ولهذا نجد الحداثة في تغير وتطور دائمين، فما أن ترسو على فكرة حتى تطرح أخرى.

الحداثة هي حركة دائمة يصعب على الدارس استيعابها وفهمها وهي« ليست موضوعا يمكن أن تتم معالجته على نحو ملائم عبر وصف قائمة[...]انها نتاج موقف معقد لا يمكن أن نتحرر منه إلاّ بشق الأنفس » [3]، فالظروف التي جاءت فيها الحداثة كانت معقدة حيث تطورت العلوم وأصبح العالم يبحث عن تحرير كل قيد يربطه بالتراث، أضحى الإنسان يرى الأشياء المحيطة به على أنها واقع موضوعي، فقد طغى الفكر العقلاني في تفسير الظواهر المحيطة بالإنسان، ففي العلوم مثلا أصبح تقسيم الظواهر إلى مستويين« مستوى أصغر تغزى اليه الذرات [...]والمستوى الأكبر الذي تعزى إليه الجزيئات وما

يتألف منها أجساما أكبر» [4]، الظواهر التي كانت غامضة ومبعثرة أصبح لها تفسيرات وعلاقات بداخلها تثبت مادتها.

هنا تغير فهم المادة وأصبح التفسير يعتمد على المادة نفسها ومنطلقها، ومثال ذلك ظواهر تبدو مبعثرة أصبح لها تفسير «مثلا الموجات اللاسلكية والضوء أصبح لها تفسير فهي ليست سوى سيول من الحقول الكهرومغناطيسية الحاوية لطاقات أخرى» [5]اتضح للإنسان في تلك الفترة الكثير من الأمور وتغيرت نظرته لها فراح محاولا اسقاط ذلك على شتى الحقول المعرفية ليست العلوم الطبيعية فقط. ففي حقل النقد الأدبي وهو موضوع اهتمامنا، جاءت طروحات نادت بضرورة فهم الأدب بعزله عن السياقات الخارجية و حاولت دراسته دراسة محايثة. كان هذا تحت ظل المناهج البنيوية التي استفادت من طرح دوسوسير F.de Saussure اللساني في تأسيسها لروافدها، كما استفادت أيضا من أفكار مدرسة الشكلانيين الروس التي لها «أثر كبير في إرساء نظرية أدب تضع العمل الأدبي موضع اهتمامها الرئيسي رافضة المقاربات النفسية والاجتماعية»[6]. أعقب جهود الشكلانيين الروس ظهور مدرسة النقد الجديد التي نادت بعزل الظواهر كما ساهمت في وجود نقد موضوعي يبتعد عن السياقات المحيطة بالنص، وحركة النقد الجديد هي «حركة جاء بها الناقد الأمريكي جون كرورانسوم دعت هذه الحركة إلى ضرورة عزل النص عما يؤثر فيه، وجعل من الأعمال الأدبية أشياء محررة بعزلها عن سياقها»[7]، كل هذا ساهم في ظهور المنهج البنيوي وهو منهج نقدي يقارب النصوص مقاربة محايثة ويراها بنية منعزلة عن أي سياق خارجي، درس النصوص لذاتها ومن أجل ذاتها.

لنفهم إجراءات البنيوية نقدم مقولات جان بياجيه بأن البنية تكتفي بذاتها، ولا تتطلب لإدراكها اللجوء لأي من العناصر الغريبة عن طبيعتها، كما قدم خصائص للبنية «بكلمة موجزة، تتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، التحويلات، الضبط الذاتي»[8]، فالجملة متناسقة داخليا أما التحول من خلال كونها تتحرك وفق قوانينها الداخلية فذلك لأنها ليست سكونية، أمّا الضبط الذاتي فيتعلق بكون البنية لا تعتمد على مرجع خارجها لتبرير عملياتها.

انبثق عن محاولات النقد تحقيق نموذج يعتمد على إجراءات البنيوية وأفكارها في تحليل النصوص الأدبية؛ بنيوية أسلوبية وبنيوية سيميولوجية وبنيوية تكوينية هذه الأخيرة كانت بداية للتشكيك في أقطاب البنيوية وتوجهها، صحيح أنها ولجت عالم النص لكنها أغفلت جوانب كثيرة. حاولت البنيوية التكوينية تجاوز ذلك، «فهي منهجية تحاول البحث عن العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي وسياقه الاجتماعي»[9]، اعتمدت على دراسة النصوص من خلال ربط البنيات اللغوية مع البنيات الاجتماعية، كما استخدمت آليات من خلالها حاولت فهم النصوص أولها بنية الفهم وهي

دراسة بنيوية بحته من خلال الأثر الأدبي، وثانيها بنية التفسير التي هي ربط العلاقة بين الأثر الأدبي والعالم الخارجي.

أحدث التحول الذي طرأ على الفكر البنيوي فجوة وموضع شك، «فالتحولات الظاهرة الملموسة في الرؤية والمنهج لأقطاب النقد البنيوي، يعطينا تصورا لمقدار المأزق الوصفي الذي رسمت البنيوية حدوده»[10]. مسّ التحول العديد من التوجهات البنيوية، حيث أصبحت هناك بنيوية تكوينية بزعامة غولدمان وسيموطيقا تأويلية مزجت بين السيمياء ونظريات التأويل وتجاوزت الظاهر لتصل إلى الباطن وجعلت الأعمال تنفتح على الخارج.

2. بداية تحول التفكير النقدي الأدبي

بعد تتبعنا لتداعيات الحداثة نجد أنها متغيرة ولا ترتبط بفترة معينة بل هي في تطور دائم، هذا ما يثبته الطرح السابق الذي تناولناه والطرح القادم الذي سنتناوله. فالحداثة سعت دائما إلى خلق طروحات فكرية جديدة وغير مسبوقة، في حيز النقد بدأ هذا الأخير يحاول من جديد التأثر بحقول معرفية أخرى، ما زاد الشك في قدرة المنهج البنيوي على فهم الخطابات والنظم الفكرية، فجاءت مرحلة جديدة لتحوّل النقد ليس النقد فقط بل الفكر ككل. يقول الناقد عبد العزيز حمودة « إنها مرحلة تحوّل الحداثة إلى ما بعد الحداثة [...]بعد أن سقطت الآلهة الجديدة، المادة، العلم، العقل، وفشلت في تفسير الكون» [11]، فما بعد الحداثة كانت في ظروف معقدة منها الحرب الباردة وتطور الرأسمالية الغربية وتطور وسائل الإعلام، وظهور فلسفات مقوّضه ومشككة في أفكار وآراء الفلسفات الرائجة في تلك الفترة، فهي تيار جاء« لتقويض الميتافيزيقا الغربية، وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي كاللغة[...]والعقل[...]واستخدمت في ذلك آليات التشتيت والتشكيك والاختلاف والتغريب»[12]، فهي من حاولت بآلياتها تغيير الأفكار السائدة.

إلى هنا اتجهت الحداثة إلى نهج مخالف لأفكارها التي جاءت بها فأتى مشروع آخر عرف بما بعد الحداثة ومن مرتكزاته كما حصرها الناقد جميل حمداني في كتابه نظريات ما بعد الحداثة هي التقويض والتشكيك والفلسفة العدمية والتفكك واللاانسجام، فالتقويض من خلال تقويض الفكر الغربي ومعتقداته، أما التشكيك فمن خلال الشك في الثنائية القائمة على التمركز ونقد الميتافيزيقا الغربية التي كانت سائدة، والفلسفة العدمية هي تلك الفلسفات التي ظهرت في ظل ما بعد الحداثة كالفلسفة العبثية التي رأت بأن الانسان يحاول عبثا للوصول إلى الحقائق، من روادها البرت كامو« فقد رأى أن الاحساس بالعبث يكمن من خلال طبيعة الحياة الآلية للإنسان والروتين اليومي للحياة» [13]، والملاحظ حول تلك الفترة أن التكنولوجيا قد هيمنت على العالم فصار قرية صغيرة، كما أصبح للصورة والصوت أهمية كبيرة مقارنة باللغة.

3. تيار ما بعد الحداثة ونظريات النقد الأدبي

الدارس لتيار ما بعد الحداثة يجد أنها أفرزت العديد من النظريات منها« التأويلية ونظرية التلقي، النظرية التفكيكية، والنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، نظرية النقد الثقافي، النظريات الثقافية، النظرية الجنسية، نظرية الجنوسة، ونظرية التاريخانية الجديدة ، النظرية النسوية[...]نظرية مابعد الاستعمار[...]المقاربة التناصية [...] سيموطيقا التأويل» [14]، أصبح واضحا انفتاح النقد على حقول معرفية أخرى، فنظريات ما بعد الحداثة في حيز الاشتغال النقدي الأدبي أعادت الاعتبار للقارئ كما فتحت المجال لإعادة قراءة النصوص وتأويلها، و التفكيكية هي التي مهدت الطريق لنظريات ما بعد الحداثة «فالتفكيكية ترى بأن المعنى في النصوص والكتابات المعطاة تتحدد نتيجة تعدد المدلولات[...] فالمعاني تتعدد بتعدد المدلولات»[15]. تأثر العديد من المفكرين والكتاب بأفكار التفكيكية التي جاء بها الفيلسوف جاك دريدا Jacques.Derrida حيث جاءت بمبادئ حاولت أن تثبت بها الطرح الذي قدمته فعلى مستوى النقد جاءت لتزعزع فكرة الثنائية ، وقدمت مفاهيم منها :الانتشار والتشتت والإرجاء و التأجيل والحضور والغياب والأثر« ففكرة الانتشار والتشتت من خلال أن المعنى يتناثر وينتشر بطريقة يصعب ضبطها والتحكم فيها، مثل ماء ساكن تتضاعف دوائره وتتسع إذ ما ألقي فيها حجر، أما الإرجاء والتأجيل: أن الدال كلما يحضر يعاد ارجاؤه، والحضور والغياب فهو حضور الدال لكن تبتعد مدلولاته، فكل كلمة تقودنا إلى اخرى في النظام الدالي»[16]، من هذا المنطلق تأثر الكتاب والنقاد بأفكار التفكيكية وفتحت لهم المجال للتلاعب باللغة ودلالات النصوص.

نعود بعد ما تقدم إلى السيموطيقا التأويلية وهي تختلف عن السيموطيقا البنيوية التي أقصت المؤلف وعزلت النص عن سياقاته. أعادت سيموطيقا التأويل التي جاء بها بول ريكور Paul.Ricoeur الاعتبار للمؤلف والقارئ وتبنت فكرة الفهم والتفسير «فالتفسير ذو طابع علمي، بينما الفهم ذو طابع تاريخي وإنساني »[17]. انتشر التأويل في تلك الآونة تزامنا مع انتشار الرمز والصورة والإشارات والتصورات الخيالية كأدب الخيال العلمي.

إلى هنا نجد أن ما بعد الحداثة في تطور دائم فقد أنتجت العديد من النظريات والمفاهيم لا يسع لمقالنا طرحها، حاولنا فيه رصد أهم ما قدمه النقد ما بعد حداثي أما النقد الثقافي فكان له النصيب الأوفر، فتحت ظله أصبح النص مفتوحا على العديد من التفسيرات «فالثقافة مؤلف مضمر ذو طبيعة نسقية، تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب، فيقع في أسر مفاهيمها»[18]. لم تعد النصوص عبارة عن نصوص أدبية وجمالية بل أصبحت تتعرض للتشريح والتفسير للبحث عن الأنساق الثقافية ودلالاتها المضمرة« والدلالة النسقية بمفهوم النقد الثقافي هي ليست من صنع المؤلف- فرد ما- لكنها منكتبة في الخطاب بفعل نموذج ثقافي شامل يقوم بضخ محمولاته في ثنايا الخطاب» [19]، وقد حصر

الناقد طارق بوحالة مباحث النقد الثقافي في كتابه أسس النقد الثقافي وتطبيقاته كالتالي:« مبحث الهوية، مبحث الآخرية، مبحث السلطة، مبحث المثقف، فبطبيعة الحال لا وجود لهوية خارج المحيط الثقافي الذي تنتمي اليه، ففي النصوص الأدبية يتم تشكيل تمثيل سردي يظهر من خلال العناصر المكونة للنص الأدبي ، هذا يخلق هوية يضمر عبرها أنساق ثقافية، أما فيما يخص مبحث لآخرية فلا وجود لذات إلا بوجود آخر وموضوع الآخرية تعامل النقد الثقافي معه من منظور نسقي ثقافي، أما مبحث السلطة فينطوي تحته مفهوم الهيمنة، وما يهم النقد الثقافي هو كيفية تمثلها داخل الخطاب الأدبي إلى أنساق وتمثيلات رمزية وثقافية » [20]. يجد المتتبع لحركة النقد الثقافي أنه يتضمن الخطاب ما بعد الكولونيالي ويشمل هذا نظريات ودراسات ما بعد الكولونيالية وأدب ما بعد الكولونيالية هذا الأخير هو الأدب الذي كتبه أدباء من الشعوب التي كانت مستعمرة، كانت آدابا لها ميزات خاصة بحكم ظروفها السائدة آنذاك، كما كان للنقد الثقافي دور في الكشف عن هذه الآداب، ما يمكن استحضاره عبر تجربة إدوارد سعيد في كتابه – الثقافة والإمبريالية 1993.

ينطوي أيضا تحت جناح النقد الثقافي تيار التاريخانية الجديدة حيث اعتبر الدارسون «الفترات التاريخية صراعات قوى تترك أثرها على كل الإنتاج الفني في عصرها»[21]، لذلك فالنص في نظرهم مرتبط بالتاريخ وليس منفصلا عنه بل نظر إليهما على أنهما كيان واحد «وقد أطلق هذا المصطلح ستيفن قرين بلات في عدد خاص من مجلة (Genre 15 : 1.2 1982) ليصف به مشروعه [...]وقد لاقى المصطلح قبولا عريضا لدى جماعات النقد ما بعد البنيوي[...]إذ عبر الدارسون به الحدود الفاصلة بين التاريخ والأنثروبولوجيا والفن والسياسة والأدب»[22] محاولة استغلال مقولات البنيوية والتأويلية وربطها بالتاريخ.

كانت ما بعد الحداثة في حركة تطور مستمرة، ودليل ذلك أنك ما إن تثبت عند نظرية أو منهج حتى ينبثق منه منهج آخر. ففي النقد الثقافي ذاته جاءت نظرية رأت بأن المرأة مغيبة وأن الثقافة أصبحت حكرا على الرجل «فطرحت مقولة (النظرية بوصفها امرأة) وهي ورقة بحثية طرحتها باربرا جونسون 1992، وهي تعني أن النظرية هي الأداة المتوخاة لكسر النسق الفحولي، وطرح الأسئلة النقدية على التصور المهيمن للأنساق الثقافية التي احتكرها الرجل فيها الكتابة وعالم النص إنتاجا وتأويلا»[23]. حاولت هذه النظرية رد الاعتبار للمرأة التي كانت ثقافيا (بصفة عامة) تابعة للرجل. استطاعت هدم الهيبة الموجودة والمتجذرة ثقافيا بين الرجل والمرأة، كما رمت بفكرة أن المرأة مهمشة وحاولت رد الاعتبار لها لتصبح خطا عريضا له رأي مستقل عن الرجل سواء في حقل الدراسات الثقافية أو في شتى مظاهر الحياة، هذا يدل على مساهمة التيارات النسوية في تطور النقد ما بعد الحداثي.

4. رصد تلقي النقاد العرب لأصداء الحداثة وما بعدها

بعد الاختلاط الثقافي بين الغرب والعرب الذي خلفته الحقبة الاستعمارية والبعثات العلمية للباحثين العرب كما كان لتطور الصحافة ووسائل النشر وإنشاء الجامعات دور...إلخ كلها عوامل أدت إلى الاختلاط الثقافي، حيث شمل هذا الأخير شتى الحقول المعرفية من ضمنها حقل النقد الأدبي فقد كان لصدى الحداثة و ما بعدها تأثيرا في الساحة النقدية العربية، سارع الباحثون العرب إلى رصد أصدائها ومحاولة نقل أفكارها ومفاهيمها إلى الساحة العربية، وركبوا الموجة متأثرين بالمناهج التي أفرزتها الحداثة وما بعدها حيث انبهروا بأفكارها مثلما هي حال الناقد كمال أبو ديب فقد قدم دراسته في كتابه" الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر"، رأى أنه من المنطق تجديد الآليات التي نشتغل بها في شعرنا العربي بقوله: «من السذاجة بمكان أن نستمر في العمل على هذا الشعر وكأن معرفتنا النظرية ما تزال هي المعرقة التي امتلكها ابن قتيبة في القرن الثالث هجري أو طه حسين وشوقي ضيف في القرن الرابع عشر هجري كما أنه من السذاجة أن تستمر في العمل وكأن الثقافات الأخرى في العالم لا تمتلك تراثات»[24]، لذلك قام بدراسة الشعر الجاهلي حاملا معه آليات البنيوية وأقر أن الدراسات القديمة مجحفة في حق هذا الشعر ولو أنه تعرض للنقد من طرف نقاد آخرين حيث اعتبروه مجحفا في حق الدراسات القديمة كما أنهم أيضا نقدوا دراسته واعتبروا أنه تسرع في تلقي الآليات فهو في مرات يستعملها دون وعي بدلالاتها هذا حسب رأي حجازي «هو خطأ منهجي وعلمي من صاحب الكتاب لأن ذلك يجعل القارئ يقع في أخطاء تجعل من فهمها للكاتب أو العمل الأدبي خاطئ»[25].

لتبدأ حمى المناهج في إصابة الدارسين العرب بين منبهر ومفتون وبين من يحاول التوفيق بينها وبين التراث، وكان التسارع واضحا فبدأ النقاد بنقل مصطلحات كانت بالأساس حديثة عند الغرب ومضطربة المفاهيم الدلالية في منشئها الأصلي فما بالك بنقلها دون تدقيق وصرامة، هذا أحدث فوضى مصطلحية عارمة على مستوى النقد العربي بالإضافة إلى الانزلاقات المعرفية و الفكرية، حيث راح كل ناقد ينقل بطريقة فردية وبما يفهمه هو دون إجماع، واعتبرها البعض« شكل موضات أدبية »[26]، أيضا أخذ البعض بنقل النظريات التي أفرزتها الحداثة دون التمعن فيها و«أخطر من ذلك أن يكتفي بالاطلاع على نظرية واحدة فيتشبث بها تشبثه بعلم أزلي»[27]، ويحاول فرضها على الساحة النقدية العربية فتصبح بذلك مفاهيما دخيلة لا تملك ما يقابلها دلاليا في المناخ النقدي العربي أو تتعدد دلالتها فتحدث تشويشا.

راح الكل يقارب ويأخذ ما يستطيع إسقاطه على الأعمال العربية سواء القديمة أم الحديثة وفي مرات يتم فرض آليات لمناهج على النصوص لمواكبة التطور الحاصل في المناهج النقدية، ومنهم من رأى بضرورة البحث في التراث على ما يمكن إسقاطه على المناهج الغربية مثلما طرح الناقد عبد السلام

المسدي، الذي اقترح إمكانية وضع صلة بين الأسلوبية والبلاغة العربية وعلى الناقد أن يعطي ويأخذ فبقوله «ولئن بقيت جلّ الممارسات الحديثة عند العرب سجينة الأخذ، محظورا عليها العطاء فما ذلك إلاّ لافتقارها إلى بعدين: بعد نقدي وبعد أصولي، فأما انعدام البعد النقدي فتفسره غلبة المناحي المذهبية في التيارات النقدية الحديثة[...]وأما انعدام البعد الأصولي فلا مردّ له إلاّ الحواجز القائمة بين مصادر التفكير عند العرب ولا سيّما المحدثين منهم[...]فكان لزاما أن ترجح كفّةُ الأخذِ كفّةَ العطاء»[28].

لتشهد الساحة النقدية العربية العديد من الدراسات النظرية والتطبيقية منها: البنية القصصية في رسالة الغفران لحسين الواد (1977م)، نظرية البنائية في النقد الأدبي صلاح فضل (1978م)، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي-دراسة بنيوية تكوينية-حميد لحمداني (1985 م)، أيضا نجد دراسات رشيد بن مالك في حقل السيمياء حيث عمل على نقل مصطلحات هذا الاتجاه في كتابه: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص(2000م)، بالإضافة إلى تخصيصه بالمقاربة السيميائية مجموعة من النصوص السّردية توزعت على فصول مؤلفاته ودراساته النقدية، كما نجد يوسف وغليسي في بحثه المعنون ب: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد حاول مناقشة اشكالية المصطلح كما درس معايير المصطلح وآليات الاصطلاح بالإضافة إلى أننا نجد هذا الطرح واضحا في نموذج عبد اللّه الغذامي التطبيقي من خلال مشروع تبنيه للنقد الثقافي، حيث تميزت دراسته بالوسطية في قضية المناهج فهو استطاع أن يوفق بين أدوات التراث وآليات النقد الغربي كان ذلك في مؤلفاته: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك(1198م)، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية (2001م)، الخروج من التيه دراسة في سلطة النص(2003م)، هذه السلسة وضح أنها تلخص المسار الذي رسمته الحداثة وما بعدها في حيز اشتغال النقد الأدبي العربي بقوله: «حذرت من الطوفان القادم، في كتاب سابق هو المرايا المحدبة[...]الذي أعتبره الجزء الأول من ثلاثية أجزاؤها المرايا المحدبة والمرايا المقعرة، ثم الدراسة الحالية: الخروج من التيه[...]كشفت الدراسة الأولى عمق الهوة التي تردت فيها الحركة النقدية العربية بداية من سبعينيات القرن الماضي[...] تحولت في الدراسة التالية المرايا المقعرة، إلى محاولة البحث عن نظرية نقية عربية، وهي محاولة قادتني بالضرورة إلى البلاغة العربية في عصرها الذهبي[...]وتأتي الدراسة الجديدة الحالية بعد أن انكشف المستور[...]أصبح أمر ثقافة مهيمنة تضيق شأنها في ذلك شأن كل الثقافات المهيمنة »[29].

لتنفتح الدراسات العربية على حركة نقد ما بعد الحداثة الغربية ونخص بالذكر جهود النقاد إيهاب حسن «أول ناقد يناقش سمات أدب ما بعد الحداثة[...]ناقش سمات المصطلح في مقالة له خريف 1971 في مجلة التاريخ الأدبي الحديث بعنوان الحداثة وما بعد الحداثة [...]ثم توسع في نقاش

أدب ما بعد الحداثة في كتاب نشره عام 1987بعنوان: تحول ما بع الحداثة: مقالات في نظرية ما بعد الحداثة والثقافة»[30]. بالإضافة إلى الدراسات العربية نجد نموذج عبد الله الغذامي في النقد الثقافي. كان ذلك عند تحليله لقصائد نزار قباني في كتابه "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، أين طرح أفكار النقد الثقافي مبرزا أن النص تحت ظل النقد الثقافي ليس نصا أدبيا وجماليا فحسب بل هو حالة ثقافية تخفي أنساقا مضمرة على الدارس مهمة الكشف عنها، ومنه فقد تناول النقد الثقافي برؤية ثقافية عربية مع أن المنشأ الأصلي لها كان لدى الغرب.

خاتمة:

نصل في ختام هذه الورقة البحثية التي هي ورقة إحصاء أكثر منها ورقة بحثية إلى القول بتشعب الموضوع وصعوبة حصره في مقال علمي، فالحداثة وما بعدها قد أنتجتا آراءً فكرية كثيرة ومتشعبة. ففي حيز اشتغال النقد الأدبي برز التيار البنيوي بمختلف تفرعاته الأسلوبية والسيميائية البنيوية، وعمل هذا التيار على دراسة الأدب دراسة محايثة وبعيدا عن أي سياق خارجي، لكنه سرعان ما وقع في فكرة النص المغلق حيث حاول من جديد فتح الانغلاق برؤية مختلفة انبثق عنها المنهج البنيوي التكويني بزعامة غولدمان، هذا الأخير حاول فهم الخطابات بربطها بسياقها الاجتماعي وجاء بمفاهيم جديدة ليعلن بداية الانفتاح.

من خلال هذا أحدثت البنيوية التكوينية شكا في كفاية التيار البنيوي خاصة في ظل الظروف المعقدة السائدة آن ذاك حيث الحرب الباردة والسباق نحو التسلح وتطور وسائل الاعلام والتكنولوجيا، صاحب ذلك ظهور فلسفات عدمية وعبثية، حيث انقلب التفكير وتجاوز الفكر ما جاءت به الحداثة واصطلح على هذه الفترة بما بعد الحداثة. تأثر النقد مثله مثل باقي الحقول المعرفية بهذا السياق، حيث كانت التفكيكية هي الطريق الذي مهد لبداية التغير في التفكير النقدي. هذه الأخيرة قوضت فلسفة الخطابات التي كانت سائدة، ففي النقد تعددت قراءات النصوص مولدة النقد الثقافي، وأصبحت الخطابات في ظله مفتوحة على العديد من التفسيرات المعبرة عن حالة ثقافية تخفي في طياتها أنساقا ثقافية مضمرة مهمة الناقد البحث عنها. برز تحت ظل النقد الثقافي الخطاب ما بعد الكولونيالي ويشمل نظريات ودراسات ما بعد الكولونيالية وأدب ما بعد الكولونيالية هذا الأخير هو الأدب الذي كتبه أدباء من الشعوب التي كانت مستعمرة. ينطوي أيضا تحت جناح النقد الثقافي تيار التاريخانية الجديدة الذي حاول استغلال مقولات البنيوية والتأويلية وربطها بالتاريخ، ومن خلال هذا التيار عبرت النصوص حدودها الشكلية والجمالية واللغوية إلى حقل التاريخ. كان للتيار النسوي دور في نقد ما بعد الحداثة فجاء هذا الطرح تحت لواء النقد الثقافي، سمي بنظرية (النظرية بوصفها امرأة) حيث تم تبني الطرح وفق رؤية المرأة في المجتمعات ومكانتها.

مسّت هذه التحولات حقل النقد الأدبي العربي بفعل الاختلاط الثقافي فراح النقاد يغرفون منها. البعض منبهر والبعض يبحث عما يقابلها في التراث. أحدث هذا الانتقال فوضى مصطلحية حاول النقاد تداركها لكن التسارع الذي تتطور به نظريات الحداثة وما بعد الحداثة أرهق النقد العربي، ما لا يغير من الكم الكبير للدراسات التي اجتهد النقاد في تقديمها ليتم مجاراة التطور الحاصل في حقل النقد الأدبي بالإضافة إلى جهود البعض بالبحث في التراث العربي ومحاولة التأصيل لنظرية نقدية عربية. لتيار الحداثة إذًا إيجابيات على النقد الأدبي بقدر ما لتيار ما بعد الحداثة من إيجابيات، ولا يعني هذا عدم وجود لسلبيات بل هناك سلبيات وفوضى لحقت بكلا التيارين وهذا يطرح موضوعا آخر واشكالية أخرى لا يسع لمقالنا طرحها.

الهوامش:

[1] - عبد الله محمد الغذامي: تشريح النص، المركز الثقافي العربي المغرب، ط1، سنة 2006، ص 09.

[2]-المرجع نفسه، ص 15.

[3]- لويس ميناند وآخرون: الحداثة والنقد الجديد، تر: فاطمة قنديل وآخرون، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي م7، المركز الثقافي القاهرة، ط1، ص21.

[4]- راكيتوف: أسس الفلسفة، تر: موفق الديلمي، دار التقدم موسكو 1989، ص67.

[5]-المرجع نفسه، ص64.

[6]- عبد الله وآخرون: مدخل الى المناهج النقدية، المركز الثقافي العربي المغرب، ط2، 1996، ص11.

[7]- المرجع نفسه، ص19.

[8]- جان بياجيه: البنيوية، تر: عارف منيمة -بشير أوبري، منشورات عويدات، ط4، بيروت- باريس، 1985، ص8.

[9]- إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، مكتبة نور الالكترونية، ص33.

[10]- عبد الله وآخرون: مدخل الى المناهج النقدية، ص29.

[11]- عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، عالم المعرفة، مطابع الوطن، 2001، ص5.

[12]-جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ص16.

[13]- فاطمة جلولي: القلق الوجودي بين عبثية الحياة وحتمية الموت، مكتبة نور الالكترونية، ص61.

[14]- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، ص28.

[15]- المرجع نفسه، ص43.

[16]- عبد الله وآخرون: معرفة الآخر، بتصرف من ص118الى122.

[17]- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، ص64.

[18]- حسن السماهيجي وآخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص45.

[19] - المرجع نفسه، ص47.

[20]- طارق بوحالة: أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2021، من ص59الى61 بتصرف.

[21]- طارق بوحالة: أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، ص67.

[22]- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2005، ص43.

[23]- عبد الله الغذامي: الجنوسة النسقية في الثقافة والنظرية، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2017، ص101.

[24] - كمال أبو ديب: الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986، ص16.

[25]- سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، دار التوفيق للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 2004، ص13.

[26]- عبد الملك مرتاض، مائة...قضية وقضية، مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوعة، دار هومة، الجزائر، ص 16.

[27] - عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، طبعة منقحة ومشفوعة ببيليوغرافيا الدراسات الأسلوبية والبنيوية، الدار العربية للكتاب، ط03، ص9.

[28] - المرجع نفسه، ص18-19.

[29]- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه-دراسة في سلطة النص-، مطابع السياسة، الكويت، 2003، ص8-9.

[30]- محمد بن لافي الشمري: مفهوم ما بعد الحداثة عند النقاد الغربيين والعرب-دراسة مقارنة-، حوليات آداب عين شمس المجلد46(عدد يوليو-سبتمبر2018)، جامعة عين الشمس، كلية الآداب، ص 462.

قائمة المصادر والمراجع :

1. إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، مكتبة نور الالكترونية.
2. جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة.
3. جان بياجيه: البنيوية، تر: عارف منيمة- بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط4، 1985
4. حسن السماهيجي آخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2003.
5. راكيتوف: أسس الفلسفة، تر: موفق الديلمي، دار التقدم، موسكو 1989.
6. سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، دار التوفيق للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 2004.
7. طارق بوحالة: أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر2021.
8. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، عالم المعرفة، مطابع الوطن 2001.
9. عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه-دراسة في سلطة النص-، مطابع السياسة، الكويت،2003.
10. عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، طبعة منقحة ومشفوعة ببيليوغرافيا الراسات الأسلوبية والبنيوية، الدار العربية للكتاب، ط03.

11. عبد الله الغذامي: الجنوسة النسقية في الثقافة والنظرية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2017.
12. عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2005.
13. عبد الله محمد الغذامي : تشريح النص، المركز الثقافي العربي المغرب ،ط1، سنة 2006.
14. عبد الله وآخرون: مدخل الى المناهج النقدية، المركز الثقافي العربي المغرب، ط2، 1996.
15. فاطمة جلولي: القلق الوجودي بين عبثية الحياة وحتمية الموت، مكتبة نور الالكترونية.
16. كمال أبو ديب: الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986.
17. لويس ميناند وآخرون: الحداثة والنقد الجديد، تر: فاطمة قنديل وآخرون، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي م7، ط1، المركز الثقافي القاهرة.
18. محمد بن لافي الشمري: مفهوم ما بعد الحداثة عند النقاد الغربيين والعرب-دراسة مقارنة-، حوليات آداب عين شمس المجلد46 (عدد يوليو-سبتمبر2018)، جامعة عين الشمس، كلية الآداب.